عنوان الكتاب: فكر بنفسك .. عشرون تطبيقـاً للفلسفة
اسم المؤلف : ينس زونتجن
رسوم: ناديا بودا
ترجمة: د. عبد السلام حيدر
الناشر : مركز المحروسة للنشر والخدمات الـصحفية والمعلومـات
ش٢٨ مـن ش٩ – قطعـة ٧٣٩٩ – الهـضبة العليـا –
المقطم – القاهرة
ت : ٥٠٧٥٩١٧
e.mail : mahrosa@ mahrosa.com
المدير العام : فريد زهران
المشرف الفني : مجاهد العزب

صدر العمل الأصلي عن دار نشر:
بيتر هامر للنشر فى ألمانيا Peter Hammer Verlag
بعنوان :
Selbstdenken!
20 Praktiken der Philosophie
تم دعم هذا الكتاب من من مشروع Litrix.de
"The publication of this work was promoted by funding from Litrix.de, a project initiated by the federal cultural foundation, Germany, in cooperation with the Geothe-Institut and the Frankfurt Book fair".

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٥٩٣٥
الترقيم الدولي : 977-313-152-1

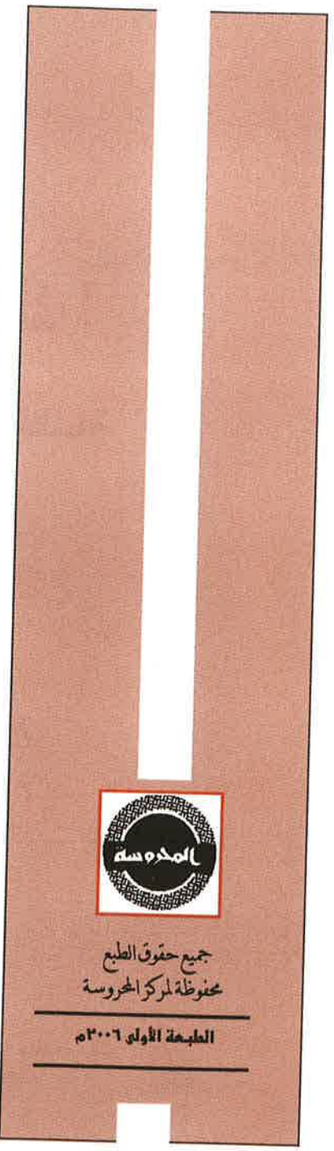

جميع حقوق الطبع
محفوظة لمركز المحروسة

الطبعة الأولى ٢٠٠٦م

هذه ترجمة كتاب

Jens Soentgen

Selbstdenken!

Zwanzig Praktiken der Philosophie

Mit Illustrationen von Nadia Budde
Peter Hammer Verlag, Wuppertal 2004

ينس زونتجن

فكر بنفسك !

عشرون تطبيقـاً للفلسفة

مدخل

من بين أطباء العصور القديمة وجدت مجموعة تسمى بالمنهجيين. وقد كانوا – كما يوحى الاسم – عقولاً على أعلى درجة من التنظيم. وكان هدفهم أن ينظموا فوضى الطب؛ فلماذا كل هذه الأساليب التي لا آخر لها، ولماذا كل هذه الأدوية والأعشاب الطبية؟ وكان رأى هؤلاء المنهجيين أن المرء يمكنه أن يعالج كل الأمراض بالطريقة نفسها، وكانت هذه فكرة عبقرية! ولكن ما جوهر هذه الطريقة المفردة والوحيدة؟ مما يؤسف له أننا لا نعلم هذا بدقة، وذلك لأن هؤلاء المنهجيين اختفوا بالكامل من نطاق الصورة بعد أن كانوا – لوقت قصير – "موضة" منتشرة جدًا لدرجة أن تأثيرهم قد وصل إلى القصر الملكي.

وفى مجال الفلسفة أيضًا يسمع المرء، على وجه الدقة، منذ العصور القديمة، بالرأي الذي يقول إن كل المشاكل الفلسفية تُعالج وبسهولة بالطريقة نفسها. ولكن على خلاف المنهجيين في الطب لم ينقرض الفلاسفة المنهجيون. وما زال يعلن حتى اليوم – بشكل متكرر – عن أن هناك من اكتشف "المنهج الفلسفي" الذي إذا ما طُبِّق أحدث تقدمًا في كل المجالات. في القرن الأخير هذا الإطار قُدِّم على سبيل المثال: الاختزال الفينومينولوجى (الظاهرياتي) أو الهرمينوطيقا (نظرية التأويل) أو التفسير المنطقي أيضًا. وكلما كان الاسم غامضًا كلما كان هذا أفضل. وإذا لم يناسب المنهج موضوعًا ما لمرة أعتبر الموضوع وبسرعة غير ذي فائدة.

ولكن الحقيقة أن المرء لا بد له في مجال الفلسفة، كما هي الحال في مجال الطب، أن يعمل بأساليب عدة. وإذا ما تأمل المرء المناقشات الفلسفية يكتشف

العديد من التطبيقات متنوعة الألوان: تنتمي المحاكاة الهزلية إلى هذه التطبيقات مثلها في ذلك مثل منهجيتي التحديد والتفريق. وترتبط هذه التطبيقات معًا، ولكن هذا الترابط ليس متينًا للدرجة التي تجعل أحد التطبيقات لا يعمل دون الآخر. لأجل هذا كتبت كل فصول هذا الكتاب بطريقة تجعل من الممكن مطالعتها منفردة.

وبخلاف "المنهج" فإن "التطبيق" لا يشترط رأيًا خاصًا يحدد اتجاهه؛ فالتطبيق يكتفي بمناسبة محددة، على سبيل المثال رأي صاغه آخر. فالتطبيقات يمكن استخدامها في كل سياق تناقش فيه الأفكار، سواء أكان ذلك جدلاً فلسفيًا حول معنى الحياة، أم رأيًا سياسيًا لإحدى الصحف، أم خلافًا أسريًا حول وجهة الرحلة التالية.

أول مجموعة لمثل هذه التطبيقات جمعها أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) فيما يسمى Topik ("الطوبيقا" = "كتاب الجدل") وهو أحد كتاباته المبكرة. وقد كان هذا الكتاب بمثابة تدريب فكرى مُؤلَّف للاستخدام الشخصي. وحينما كتبه أرسطو كان شابًا في التاسعة عشرة أو العشرين من عمره، وكان يحاول أن يفهم مجادلات الأكاديمية الأفلاطونية التي كان قد التحق بها. كان يجمع النماذج الفكرية الاستدلالية التي تتكرر في المناسبات المختلفة، والتي تفيد في الكثير من المناقشات بغض النظر عن الموضوع. وكان يسمى مثل هذه النماذج topoi. وكلمة topos تعنى تقريبًا مكان أو منطقة، والمقصود هنا، على سبيل المجاز، منطقة فكرية من المفيد إلقاء نظرة عليها.

ويوجد في "كتاب الجدل" قرابة ثلاثمائة نموذج. وفيما بعد، حينما لم يعد أرسطو تلميذًا وإنما مدرس، استخدم الكتاب في دروسه؛ حيث إنه يمثل مدخلاً للفلسفة وفى الوقت ذاته تمرينًا ثقافياً. ولم يكن المثقف عند أهل أثينا هو من يعرف الكثير، وإنما كانوا يطلقون هذا اللفظ في الغالب على من يتميز بحركية

الذهن، ومن يستطيع أن يكوّن حول كل موضوع رأيًا خاصًا، ويطور أفكارًا وحججًا جديدة، ويستطيع أن يتعامل مع الأفكار بمرونة بدلاً من أن يكررها بشكل متبلد.

بالنسبة لقارئ اليوم فإن "كتاب الجدل" صعب القراءة والفهم؛ فهو مكتوب بأسلوب تلغرافي مكثف ومتقطع، وهو الأسلوب المعتاد بالنسبة إلى مؤلفات أرسطو التعليمية. وإلى جانب ذلك فإن أرسطو يهتم في الغالب بالتطبيقات التي تتعلق بتحديد معنى أحد المصطلحات، وذلك لأن هذا الأمر كان آنذاك من الأفكار المقدمة في الأكاديمية الأفلاطونية. وبالإضافة إلى ذلك، عمد أرسطو إلى أن يوضح نماذجه بأمثلة يجب على المرء – في كثير من الأحيان – أن يحلها أولاً حتى يفهمها، وذلك لأنها تعتمد على علوم وأفكار أصبحت غريبة بالنسبة إلينا.

لأجل ذلك فإن الوقت أصبح مناسبًا لتأليف مجموعة جديدة: ألبوم متنوع الألوان يبين كيف يعمل الفكر. وإبان ذلك لا يتعلق الأمر "بالمعرفة"، وإنما "بالقدرة" الفلسفية. وهذه القدرة لا تهتم بإنتاج الحجج وتقديم الأطروحات؛ فالأمر يتعلق نوعًا ما بالأحلام والخيالات، وهو أشبه "بلعبة" مسلية تُغرى بالمشاركة.

لقد تكون هذا الألبوم على نحو مشابه جدًا لطريقة تكون ألبوم أرسطو: أي من خلال روح الملاحظة والنقل. ماذا يفعل الفلاسفة حينما يتفلسفون؟ إذا ما تأمل المرء المناقشات الفلسفية يدرك خطأ التصور المعتاد لعملية الانتقال الفكري والمنهجي من أطروحة إلى أخرى. وأكثر من هذا يكتشف المرء أن الأمر مضطرب جدًا كما لو أننا في احتفال شعبي. وهنا لا يتعلق الأمر فقط بالمحاضرة والشرح، وإنما يتعدى ذلك أيضًا إلى الصياح والتصفير والضحك والغناء والتلاعن. فالفكر ليس باردًا كما يبدو أحيانًا، بل إنه متنوع تنوعًا مدهشًا لا يكاد يُحاط به.

أما التطبيقات التي سنعرض لها فيما يلى فهى مجرد مختارات قليلة. وإذا ما انتبه المرء إلى النموذج المتبع فسيجد نماذج أخرى بسهولة، كذلك يمكن اكتشاف الروابط العرضية بين هذه التطبيقات؛ فرغم أنها تُعرض كل على حدة، فإنها تتوالى في ترابط وثيق. أما "الأمثلة" فقد استقيت بعضها من الخطابات السياسية، وبعضها من الأدب، أما أغلبها فمن الحياة اليومية. لأجل ذلك لن يظهر فى الحوارات التى أصور بها التطبيقات اسم سقراط فقط، وإنما أيضًا السيد والسيدة ماير.

أما "الألعاب" والخيالات المنثورة بين الفصول فتبين أن المرء يمكنه أن يقترب فى خفة ومرح من الفلسفة. وقد اختصرت "قائمة المراجع" إلى الحد الأدنى؛ حيث سأذكر فى نهاية كل فصل بعض النصوص المفيدة لمواصلة الاهتمام بالموضوع.

وفي النهاية أشير إلى أن كل التطبيقات تهدف إلى إضعاف التبعية لآراء الآخرين؛ فهى تفتح مجالات للخواطر والأفكار، وتشحذ القدرة على الحكم. وفى هذا تكمن طاقتها المحررة؛ فهى تزيد القدرة على التفكير الذاتي و"إعمال الفكر".

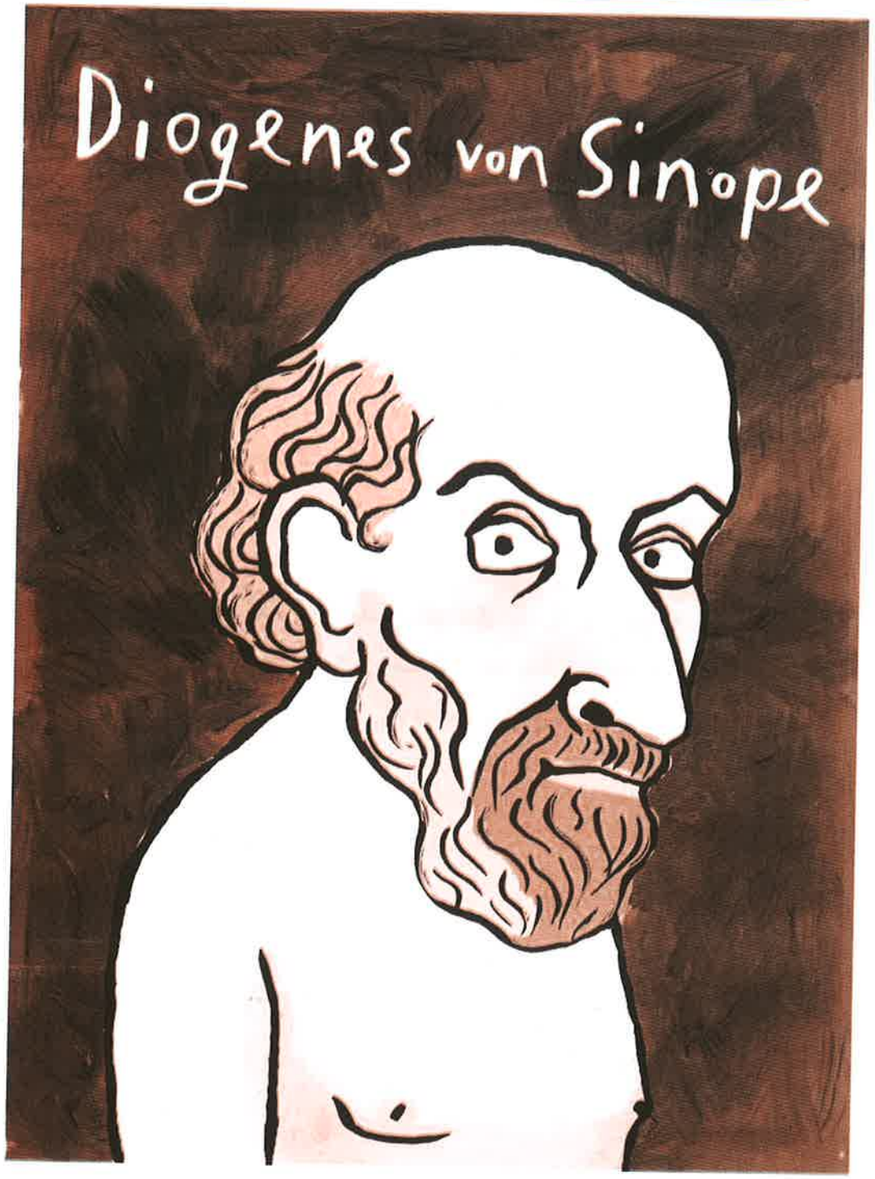

1. استفزاز

كانت الفلسفة – منذ بداياتها – شكلاً من أشكال الاستفزاز؛ فسقراط Sokrates (٤٧٠–٣٩٩ ق.م.) – على سبيل المثال – كان بمثابة فضيحة علنية. كان مظهره الخارجي الفقير مستفزًا ومتحديًا، وكان على عكس تلاميذه الأغنياء لا يتزين في الغالب بزينة ويمشى حافيًا، وهو ما جعله أحيانًا محط إعجاب وأخرى للسخرية. وكان يشكك في القيم التقليدية المعتادة مثل النجاح أو الرفاهية أو يسخر منها. وحينما اتُّهم بالتجديف وحكم عليه لم يدافع عن نفسه متذللاً، ولكنه اتَّهم المحكمة بدلاً من ذلك بعدم الكفاءة، وطالب بأن يكرم بدلاً من أن يحكم عليه، وذلك لأن عمله مع الشباب يُعد نعمة على أثينا. ولكن المحكمة لم تجد في هذا طرافة، وحكمت عليه بالموت بتجرع السم.

ولكن قصة الاستفزاز لم تجد بهذا نهايتها، بل وصلت لدى أتباع سقراط إلى قمة جديدة. وكانت المجموعة الصغيرة "الكلبيين" Kyniker تنتمى إلى هؤلاء الأتباع. وقد أصبح رجل يُدعى أنتيستينس Antisthenes (٤٥٥–٣٦٠ ق.م.) كان يعرف سقراط شخصيًا، وكان متأثرًا بشدة بقناعته وقدرته على الاستغناء، أصبح الأب المؤسس لهذا المذهب، ولكن تلميذه ديوجين السنوبي Diogenes (٤٠٠–٣٢٨ ق.م.) هو الذى منح تلك المجموعة خلودها بأن حول القناعة السقراطية البسيطة إلى حدث ملفت جذاب.

كان ديوجين يُعلّم أن الإنسان يمكنه أن يشبع احتياجاته بطريقة مناسبة وبسيطة جدًا، ولذا كان يعتقد أنه اكتشف الطريق الأقصر للسعادة. وقد بدا ذلك

فى الممارسة بأن قام ديوجين بالاستمناء علانية فى سوق أثينا، وأعلن إبان ذلك أن مما يؤسف له أن الإنسان لا يمكنه إشباع جوعه بمثل هذه السهولة، أى عن طريق تدليك البطن.

ولم يكن لديوجين بيت، وإنما كان ينام، كما يتفق، مرة هنا وأخرى هناك. وتقول الروايات إنه عاش لفترة طويلة فى برميل فخاري بطول رجل كان مخصصًا للتخزين، وقد اشتهر البرميل بأنه برميل ديوجين. وهو يظهر فى برميله هذا فى الصورة الوحيدة التى نعرفها عنه من العصور القديمة، وهي صورة دائرية على شكل ميدالية فى مركز إحدى قطع الفسيفساء المحفوظة فى المتحف الروماني- الجرماني بكولونيا.

وكان ديوجين يقتات الأعشاب والزيتون وخبز الشعير ويرتدى معطفًا من الصوف، ولكنه كان فى العادة يعيش عاريًا، وكان يحب أن يُلعب للآخرين إصبعه الوسطي، وكان بذلك رائدًا لقطاع من ثقافة "البانك" Punk. وعندما يكون فى صحبة آخرين فإنه يتمتع بالضراط من حين إلى آخر، مما جعل سكان أثينا يلقبوه بالكلب؛ حيث كان الكلب بالنسبة إليهم أحطّ الحيوانات؛ لأنه يتبول فى أى مكان يناسبه، ويأكل الفُضلات، ويقضى حاجاته الجنسية علنًا. وقد اعتبر ديوجين هذه الشتيمة لقبًا تشريفيًا، وحينما مات صنع له تلاميذه نصبًا تذكاريًا يعلوه كلب. لقد أصبح هذا الحيوان رمزًا للمدرسة كلها. وذلك لأن الاسم Kyniker مشتق من الكلمة اليونانية kynikos، وهى تعنى تقريبًا "كلبي". وفيما بعد نتج عنه الوصف "تسونيكر" Zyniker (أى الوقح المستهزئ أو الساخر اللاذع). ولكن بينما يعد "التسونيكر" المعاصر مجرد متهكم لاذع أو وقح، فإن "كلبي" العصور القديمة كان فى الوقت نفسه فيلسوفًا يريد أن تُفهم أفعاله على أنها مساهمات حوارية وشكلاً من أشكال المعارضة.

وكان ديوجين مشهورًا بنكاته وسرعة بديهته. حينما بحث عنه الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م.) وسأله أن يتمنى عليه، هو الملك العظيم، أية أمنية، فقط طرف ديوجين بعينيه وقال: "أن تذهب ولا تحجز الشمس عني". ولكن ديوجين لم يكتفِ فقط بالأقوال الحكيمة، وإنما كتب تراجيديات كاملة، كانت جميعها تحتوى بالطبع على أفكار ولمسات كلبية. وينبغي أن يكون قد كتب مؤلفًا بعنوان "السياسة" يقلب فيه الأعراف والعادات الموروثة رأسًا على عقب. كأن يرى – على سبيل المثال – أن المؤسسة التي تقوم عليها الدولة، وهى الزواج، عادة يجب أن تجتث وتلغى. وكبديل لها يقترح تنفيذ فكرة الحب المشاع، والتي يقوم الجميع فيها بممارسة الحب مع بعضهم البعض، أى الجار مع الجارة، والولد مع أمه أو حتى الولد مع والده. وبالتأكيد فإن مثل هذا الحب المشاع سيؤدى إلى مشاكل، ولكن ديوجين الذكي لم يغفل هذا فى بديله. فلكون المرء فى نطاق جماعة الحب المشاع لا يمكنه، كما يشرح ديوجين، أن يقرر أى طفل يخص من؛ فإن الجميع يجب أن يشعروا بأنهم آباء، ويجب تبعًا لذلك أن يعتنوا معًا بالتربية. وكان يرى أيضًا أنه يجب ألا يتخذ موقفًا ضد أكل لحم من مات، بل اقترح قانونًا يسمح للأبناء بضرب الآباء عمدًا حتى الموت.

وفى هذا الاتجاه تذهب تراجيدياته أيضًا، وهى تراجيديات لم تصلنا، ولكن يمكننا أن نعيد رسم أحداثها على وجه التقريب، وأن نفهم الفكرة التى تدور

حولها من خلال ملاحظات المؤلفين القدماء الآخرين. وهكذا روى أنه ألف مسرحية عن "أوديب". من المعروف فى الصيغة الكلاسيكية أن أوديب اكتشف أنه ضاجع أمه، وأنه قام فيما بعد بسمل عينيه، ولكن ديوجين الذي لم ير في ممارسة الجنس مع المحارم ذنبًا، فقد أعطى القصة كما يبدو بعدًا إيجابيًا. فحقيقة أن ابنًا يضاجع أمه لم تكن بالنسبة إليه أمرًا تراجيديًا ولكن مرحبًا به. وربما يجب لأجل ذلك أن نتصور مسرحيته "أوديب" بوصفها نموذجًا مبكرًا لفلسفة "لما لا؟".

وفى دراما كلبية أخرى، رويت لنا أحداثها، أعلن أحدهم أنه أكل قبل قليل لحم أولاده المطبوخ، ولكن هنا أيضًا يخفف عنا الفيلسوف الكلبي الأمر بالرأي الفلسفي التالي: "تبعًا للمفهوم الصحيح فإن الكل متضمن فى الكل، والجميع ينساب عبر الجميع: ففى الخبز لحم، وفى الخضروات خبز، وكذلك ينفذ الكثير من الأشياء فى الأجسام الأخرى من خلال المسام غير المرئية ليتبخر فى الوقت نفسه مرة أخرى". وإذا كان الأمر هكذا فإن ديوجين يستنتج أنه لا يوجد فرق مبدئي، بل فرق فى الدرجة، بين أكل المرء لحم أولاده وأكله لبقية الأصناف الأخرى؛ ومن هنا لا يوجد – فى رأيه – سبب للانزعاج والانفعال.

ماذا كان هدف ديوجين فى مسرحياته؟ لقد أوضح أنه أعاد سكَّ العملة بشكل جديد. ولهذا القول وجهان في اللغة اليونانية: فكلمة nomisma لا تعنى فقط عملة معدنية، وإنما تعنى أيضًا عرفًا أو تقليدًا موروثًا. وفى الحقيقة، فإن ديوجين قلب في أعماله تلك الأعراف الموروثة والعادات السائدة رأسًا على عقب.

كيف استمرت قصة الاستفزاز؟ بعد الكلبيين توقف لفترة أمر التفلسف الجموح المستفز. وبعد عدة أجيال من ديوجين احتل الرومان أثينا. وقد احتاجت الفلسفة من جراء ذلك لعدة قرون كى تستعيد عافيتها. وبعد ذلك بدأت العصور

الوسطى التى انتعشت فيها الفلسفة مرة أخرى، ولكن ضاق المجال بالنسبة للفلسفة الكلبية بطرازها القديم؛ لذا يجب علينا أن نترك برميل ديوجين ونتحول إلى "الكومونة-١" – أى "مجتمع الماويين الشباب" – التى أُسست فى فترة الستينيات فى منزل رقم ١٤ من شارع "نيدشتراسه" المطل على ميدان شتوتجارت فى برلين. وكانت هذه "الكومونة" تتكون فى الغالب من أعضاء الفصيل اليساري المتطرف فى "الاتحاد الطلابي للاشتراكيين الألمان" (SDS). وكانت "أجندة" مؤسسي الكومونة متطابقة مع أجندة الكلبيين القدامى: احتجاج، ثورة، حرية جنسية. وقد شرح آنذاك مؤسس الكومونة هانز- ديتر كونسلمان، كإجابة على سؤال أحد الصحفيين، عما ينبغي أن تكونه الكومونة فقال: "لدى مشاكل جنسية، وأريد للرأي العام أن يطلع على الأمر".

ولكن الأمر لم يكن يتعلق فقط بمشاكل كونسلمان الجنسية؛ فتحت عنوان "متى تحترق متاجر برلين؟" تظاهر "الكومونيون" ضد الحرب فى فيتنام. وقد فُهم هذا العنوان بوصفه دعوة إلى إضرام الحرائق وقاد المتصادقين فريتز تويفل (آنذاك ٢٣ سنة) ورواينر لانجهانس (آنذاك ٢٧ سنة) إلى المحاكمة التى حولها الاثنان شيئًا فشيئًا إلى استعراض مسرحى. وقد مهد ظهور المتهمين فى المحكمة لما سيأتي بعد ذلك. لقد ظهر كل من راينر لانجهانس وفريتز تويفل أمام محكمة بلدية برلين فى زي بهلواني ملون مؤثر. وقد أشبه راينر لانجهانس بشعره المجعد الذى بالغ فى تصفيفه أحد أطباء شعب البابواه فى غينيا الجديدة. كان يرتدى سروالاً من "الجينز" الأزرق الفاتح مع "جاكيت" صغير ذي لون أخضر مصفر وله أزرار برتقالية، و"ياقة-ماوية" مقواة، وأساور زرقاء اللون. ومن خلال شعره المجعد ومن خلف نظاراته المستديرة تتلصص عيون فأرية غارقة فى الكآبة. وفى المقابل كان فريتز تويفل يرتدى معطفًا برتقالي اللون تلمع أزراره الفضية ويكاد يصل للركبتين، وإلى هذا كله تضيف أساور القميص

و"ياقة –ماو" المقواة بألوانها البنفسجية تأثيرات عجيبة مدهشة. وبالقياس إلى هذا بدا شعره ولحيته فى تسريحتيهما الممتازة حول الرأس متحفظين وغير جذابين. وكانت عيناه تنظران بطريقة تدل على الرضا عن النفس أكثر من دلالتها على الثورة والعناد. وفى المسافة بين طرف معطفه والأرض تجلت سخريته من نظام الملابس الغربى: سروال مخطط غامق وجوارب صفراء وحذاء من الشامواه. وبهذا اللون من الزينة دخل كلا الطالبين إلى المحكمة كى يقلبا أحد الطقوس السلطوية رأسًا على عقب.

ببعض النكات الموجهة التي انفجرت فى صالة المحكمة مثل علب مليئة بالألوان تمكنا من أن يصبحا الرؤساء الحقيقيين للجلسة. لقد حول المتهمان نفسيهما من مُتَهَمين لمُدعيين؛ مما جعل المحاكمة تنتهى إلى فوضى. ولكن كل شيء كان قد بدأ بشكل بريء لا يؤذى؛ حيث بدأ القاضى الرئيسي فالتر شفيردتنر، وكان آنذاك فى الثالثة والخمسين من عمره، وبالتالي كان ممثلاً لجيل الآباء، الجلسة بالأسئلة المعتادة عن المعلومات الشخصية:

القاضى شفيردتنر: السيد تويفل لديك الآن فرصة أن تقدم لنا بأسلوبك الخاص سيرتك، وأن تصور نشأتك.

السيد تويفل: إننى أقف اليوم أمام المحكمة للمرة الرابعة فى قضية سياسية. وقد أصبحت حياتى فيما بين ذاك معروفة بما يكفى؛ فمنذ الإخراج الأول لهذه القضية الذى فشل آنذاك بسبب عدم كفاءة المحكمة.

المدعى العام تنكا: أرجو أن يسجل فى محضر الجلسة أن المتهم تويفل قد قال إن المحاكمة الأولى قد فشلت بسبب عدم كفاءة المحكمة، وأنا أطالب بتوقيع عقوبة الإخلال بالنظام.

السيد تويفل: ... ولأن هذه المحاكمة فشلت بسبب عدم كفاءة المحكمة، فإنني أرى أنه سيكون من المهم لأجل توضيح هذه المشكلة المعقدة أن يقوم

أعضاء الادعاء العام والمحكمة هنا بذكر شيءٍ عن سيرتهم العملية ونشأتهم. أنا أعتقد أن الرأى العام له الحق فى هذا. وسوف أعقب على كل حالة بما يحضرني.

القاضى شفيردتنر: لن تحتاج لأن تقول شيئًا يا سيد تويفل.

السيد تويفل: لكنى لا أريد أن أسهل الأمر عليكم هكذا.

بعد قليل نظرت المحكمة فى أمر إخضاع المتهمين للفحص النفسى. وبسرعة جاء الهجوم المضاد.

السيد تويفل: سأوافق على الفحص إذا ما وافق أعضاء المحكمة والادعاء العام أيضًا على أن يفحصوا نفسيًا.

عقب ذلك اجتاحت قاعة المحكمة موجة من الإعجاب والانفعالات الضاجة الصاخبة اضطرت القاضى شفيردتنر إلى الأمر بإخلاء القاعة من الحضور، ولكن سرعان ما وافق على عودتهم بعد تأكيد كتابي بعدم التشويش على سير المحاكمة، ومن ثم تواصل العرض:

القاضى شفيردتنر: السيدات والسادة المستمعين، لقد وقفنا على تأكيدكم وأقررناه، ولكني أرجو بشدة ألا تصعبوا علينا أداء واجباتنا، ونحن نثق بناء على ذلك أنكم لن تخلفوا وعدكم. السيد تويفل، تريد أن تقدم توضيحًا، ولكنى أرجو قبل ذلك أن تبتعد عن مثل هذه الأشياء التى مرت.

السيد تويفل: السيد لانجهانس يريد أن يقول شيئًا.

السيد لانجهانس: (ساخرًا) لا أعرف إلى أي حد يكون السماح بذلك، ولكني أريد أولاً أن أوافق على اقتراح صديقي فريتز، وأن أضيف إليه ما يلى: فإلى جانب الفحص النفسي لأعضاء المحكمة وللمدعى العام والمتهمين ينبغي أيضًا إخضاعهم لاختبار ذكاء تعلن نتيجته النهائية على الرأى العام!

عقب ذلك أسرع أعضاء هيئة المحكمة باضطراب شديد إلى خارج القاعة، ثم دخلوا بعد فترة قصيرة ليحكم على لانجهانس لإخلاله بالنظام. لقد أصيبت هيبة المحكمة بشدة حتى بعد أن حكم على المتهمين فيما بعد بالإدانة. كانت هذه التمثيلية الساخرة فى قاعة محكمة برلين حدثًا مهمًا بالنسبة للثورة الثقافية لجيل ١٩٦٨؛ حيث أظهرت أن إزعاج العالم البرجوازي وتشكيكه أمر سهل.

ولكن كيف حال أبطال تلك الفترة الآن؟ فريتز تويفل يعمل اليوم فى برلين كساعى بريد خاص على دراجة. أما راينر لانجهانس فقد تحول إلى الاهتمام بموضوع القوى الخفية والكامنة Esoterik، ولكنه بقى فى الوقت نفسه كلبيًا؛ فما زال مدفوعًا بالرغبة فى الاستفزاز وفى إزعاج النظم والأوضاع المستقرة. ولأجل هذا بالتأكيد تحول – بعد ثلاثين سنة من المحاكمة الأسطورية – من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وهو الأمر الذي أصاب أصدقاءه القدامى بالفزع. وقد ذكر فى حوار مع صحيفة taz أن "الروحانية الحقيقية تسمى اليوم هتلر". أيضًا لدى حضوره الحفلات اليسارية النوستالجية التي ينبغي الاحتفال خلالها بثورة جيل ١٩٦٨ يعلن مثل هذه الأقوال التي تصيب الضيوف بالفزع. وقد قام فى الوقت نفسه بتأسيس حريم، وشرح في حوارات صحفية لماذا تعد هذه الصيغة للحياة معًا إثراء شخصيًا يغنى كل المشاركين فيها. إنه فنان الإزعاج العام الذي يعرف كيف يثير أعصاب جمهوره.

ولكن كيف تعمل الاستفزازات؟ فى الغالب تعتمد على إعادة تقييم مخالفة للقيم المعتادة؛ فالحقير يُرفع، مثل الكلب على نصب ديوجين التذكاري، بينما يُحقر السامي. إنه لون من تطوير لشعور جديد بمنظومة المحظورات والتقاليد الراسخة التي نتحرك داخلها. وهذا ليس أمرًا سهلاً، وذلك لأن الأمور البدهيّة هي التي يصعب فهمها وإدراكها، ومن هنا فإن حضور البديهة والشجاعة

مواهب ضرورية لا بد من التحلي بها، وذلك لأن الشخص الذي يُهاجم تلك الأعراف الصامتة للآخرين يحاصر ويطارد، وهذا أمر ليس بالنادر.

اليوم لم يعد الاستفزاز سهلاً مثلما كان الأمر فى السابق. فمجتمع منغلق وذو نظام قيمي ثابت يسهل إزعاجه مقارنة بمجتمع متعدد؛ فحيث يستطيع كل شخص أن يعمل ما يريد ويترك، فإن الجمهور لم يعد يتعجب أو يفاجئ بشئ ما، وتصبح حركات الاستفزاز مستهلكة، بل إنها تُخنق بالتصفيق. فالاستفزازي يصبح بهلوانًا لمجتمع يعترف بانتسابه إليه. ورغم ذلك يسمع المرء إلى اليوم بين حين وآخر صرخات الاستياء المعروفة منذ آلاف السنين؛ مما يدل على أن المرء فى المجتمع الليبرالي ما زال يمكنه أن يذهب "بعيدًا جدًا".

لعبة: المشي حافيًا

نخلع أحذيتنا فى يوم صيفى جميل ونسير حفاة. ليس فقط فى البيت، وإنما أيضًا فى الخارج: فى الشارع، على رصيف المشاة، فى المدرسة، فى الجامعة، أو فى المكتب. وإبان ذلك يتضح أن عددًا قليلاً من الشوارع هو المناسب لمن يمشون حفاة. حتى مدقات التجول فى الغابة تشبه بالنسبة للأرجل الحافية وبسبب الحصى المنثور بها سريرًا من الشوك، هذا بالإضافة للشد العصبي فى بطن الساق ومفاصل القدمين! إن الأمر يبدو كما لو أن المرء يتريض للمرة الأولى، ولكن تتم من جانب آخر استعادة حيوية باطن القدمين؛ مما يجعل المرء يشعر بسخونة قدميه لعدة أيام.